بلاغة سورة الملك دراسة في ضوء لسانيات النص الإحالة أنموذجاً

د. حامد بدر عبد الحسين

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

The eloquence of the Surat al-Malik study in the light of the linguistics of the reference text form

Dr. hamd bdir abd al-Hasan

dr.hamdbdr@gmail.com

Abstract:

Koran field wider, and the spring Walther, who draws him scholars their subjects in all ages, have gained Ijaz Quranic text Great care which were not ratified by another text issues, and the need of the Arab as a need rights to linger as long as Arab Studies of referral in the Qur'an and ponder, and the development of tools in the context of language on the shape and significance level, arranges coordinated linguistic Petrtb external context, and the interaction of the constant elements in the text on the one hand, and the interaction of the text with the outside presence on the other hand, for the formation of the significance and the shadows of the text whole, unity and consistency, the research is divided on the front and the types of referral Sura blessed and a conclusion and a list of sources and references.

Key words: Referral, Rabt, cohesion, context, text, to communicate.

الملخص:

القرآن الكريم الميدان الأرحب، والنبع الثرّ الذي يستقي منه الدارسون موضوعاتهم في جميع العصور، وقد حظيت قضايا إعجاز النص القرآني بالعناية الكبرى التي لم يحظ بها نصّ آخر، وحاجة العربية كحاجة الإنسان إليه باقية ما بقيت العربية، ودراسة الإحالة في القرآن الكريم وتأملها، واستنباط أدواتها في سياقه اللغوي على مستوى الشكل والدلالة، وترتب نسقه اللغوي بترتب السياق الخارجي، وتفاعل عناصره المستمر في النص من جهة، وتفاعل النص مع الوجود الخارجي من جهة أخرى، لتشكيل الدلالة وظلالها للنص كلّه، ووحدته واتساقه، وقد قسم البحث على مقدمة تضمنت الاحالة في اللغة والاصطلاح وأنواع الإحالة في السورة المباركة وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، الربط، التماسك، السياق، النص، التواصل.

المقدمة

الإحالة في اللغة:

مصدر من الفعل الثلاثي المزيد أحال، يُحيل[1]، إذ نجد مادة(حول) لها معان مختلفة منها مالها صلة بمفهوم التماسك النصّي، وذلك من خلال الاشتقاق لهذا المصطلح فالخليل (ت175هـ)، عرض لمادة(حول)، بالقول: ((والحول: الحيلة... والاحتيال والمحاولة: مطالبتك الأمر بالحيل، وكل من رام أمرا فقد حاول... ورجل محوال: كثير محال الكلام، والمحال من الكلام: ما حول عن وجهه. وكلام مستحيل))[2]، ونجد هذا المعنى عند (ابن منظور، ت711هـ) بقوله: ((والمحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه... ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته"[3]، أَو" أحالَ الرجُلُ: تَحوَّلَ من شَيْء إِلَى شيء))[4].

(1) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه:41.
(2) الغين: مادة(حول) 3/297-298.
(3) لسان العرب (مادة حول): 11/ 186.
(4) تاج العروس الزبيدي (مادة حول): 28/366.

الإحالة في الاصطلاح:

اصطلاحًا: تغير معنى الإحالة بدءًا من دخول هذا المصطلح إلى ميدان اللسانيات، فنجد تعريفات مختلفة بحسب اختلاف الباحثين، إذ عرفها (جون لا ينز) بقوله: ((العلاقة التي تربط بين الكلمات والأشياء، هي علاقة إشارة، وإحالة الكلمات تشير إلى الأشياء))[1]، فالإحالة بهذا المعنى هي مصطلح قديم غير أن استعماله والتوسع في تطبيقاته جعلت من المصلح أبعادًا جديدة، أشار(جون لا ينز) إلى مفهوم الإحالة بالمعنى التقليدي، فإن (بوجراند) أشار إلى المفهوم الدلالي في تعريفها بقوله: ((العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات ذات طابع استبدالي في النصّ))[2].

والإحالة تربط بين البنية النصّية بعضها ببعض لتجعلها تتعالق فيما بينها فتخلق نصًا متماسكًا، فهي علاقات استرجاعية بين عنصر وعنصر أخر في النصّ وبناءًا على هذا التصور، فإن الإحالة هي عنصر محدد يعتمد على عنصر أخر ويؤكد هذا المعنى(ميرفي)، فهو يرى أن الإحالة تركيبًا لغويا يشير إلى جزء ما ذكر صراحة، أو ضمنا في النصّ الذي يتبعه، أو الذي يليه، إلا أن التعريف السائد هو ما ذكره (هاليدي/ رقية حسين) بقولهما: أن العناصر المحيلة لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[3] وضابطها عند الدكتور(تمام حسان): ((الإحالة أو المرجعية: نوع من ظاهرة الربط في اللغة تقع خارج نطاق القرائن النحوية وتتجه اتجاهين، أحدهما إلى ما سبق ذكره، والثاني إلى ما يلي))[4].

فهي تقسم إلى:

1. بحسب عَودِها على عنصر مقاليّ: الإحالة تتوقف على المرجع، فإذا كان موجودًا في الكلام، فهي إحالة نَصية، وإذا كان غير موجود إحالة سياقية، ثم إنها تقسم إلى:
   - إحالة داخلية: ويكون مرجعها موجودًا في النصّ (مقاليًّا) وهذه تفيد في اتساق النصّ[5].
   - إحالة خارجية: ويَكون مرجعها سياقيًا غير ملفوظٍ به ويمكن تقسيمها على نوعين الأول: ويكون بذلك ضميرٍ يفسره المقام، والثاني يكون بذكر ضمائر المتكلم والمخاطب[6].
2. الإحالة بحسب تقدم مرجعها وتأخرها:
   - إحالة قبلية: ويكون فيها المرجع (المحال إليه) متقدمًا على وسيلة الإحالة (المحيل).
   - إحالة بعدية: تأخر المرجع وتقدم المحيل إليه.

الإحالة الضميرية:

الضمير في اللغة العربية من المعارف، إذ يقول (سيبويه، ت180هـ):"وإنَّما صار الإضمار معرفة لأنك تُضمِر اسماً بعد ما تعلم أنَّ من يُحدَّث قد عرف من تعني وما تعني، وأنّك تريد شيئاً يعلمه"[7]، فالضمائر معرفة، ودلالة تسميتها(بالمبهمات) نجد جوابه عند المبرد(ت285هـ) بقوله: "وإنما صار الضمير معرفة لأنك لا تضمره إلا بعد ما يعرفه السامع وذلك أنك لا تقول مررت به ولا ضربته ولا ذهب ولا شيئا من ذلك حتى تعرفه وتدري إلى من يرجع هذا الضمير"[8]، فهو" مبهم وضعًا ومعرفة استعمالًا"[9]، ولهذا كله كان الضمير "ما وضِعَ لمتكلمٍ، أو مخاطبٍ، أو غائبٍ تقدَّم ذكرُه لفظاً أو معنى أو حكماً"[10].

(1) علم الدلالة، جون لا ينز:15.
(2) النصّ والخطاب والاجراء: 320.
(3) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: 16-17.
(4) البيان في روائع القرآن: 167/2.
(5) ينظر: أصول تحليل الخطاب: 1/ 125.
(6) ينظر: المصدر نفسه: 1/ 127
(7) الكتاب: 2 /6.
(8) المقتضب:280/4
(9) أصول تحليل الخطاب: 2/ 1109
(10) شرح الرَّضي: 2/ 401.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾، نجد في هذه الآية مجموعة من الإحالات الضميرية كـ(بيده)، فالهاء تحيل إلى الله (ﷻ)، ويحيل الضمير (هو) مرتين على الله (ﷻ)، ومن وضيفة ضمير الفصل، التوكيد وهذا ما ذهب إليه الكوفييون من أن ضمير الفصل يأتي تأكيدًا لما قبله والفصل بين النعت وبين الخبر والأخير قول البصريين، والاختصاص [1] فجاء لمعنى الاختصاص والتأكيد فالله (ﷻ) هو على كل شيء قدير وهو العزيز القدير، فكل الإحالات الواردة في هذه الآيات سياقية، أي تحيل إلى عنصر خارج النص اتضحت دلالاتهما من خلال السياق، فهذا المقطع من السورة قد صيغ على وفق مستوى خاص يسمح للمتلقي بأن يستكشف بنفسه دلالات عامة يمكن الإفادة منها في تعديل سلوكه، وذلك أثناء تتبعه الألفاظ والضمائر المحيلة عليها، إذ جاءت الضمائر المحيلة على الذات المقدسة في النص بالصيغ الدالة على العظمة وكانت تُمَثِّلُ إحالاتٍ خارجية تُفهم من سياق المقام.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾، وردت في هذه الآية مجموعة من الإحالات (زينا: إحالة بعدية تحيل إلى السماء الدنيا)، (جعلناها: إحالة قبلية تحيل إلى السماء)، (أعتدنا: إحالة قبلية تحيل إلى الشياطين)، فأوضحت هذه الآية المباركة عن تأكيد واحالة وتشبيه، لما فيها بيان قدرة الله (ﷻ)، بعد بيان دلائل انتفاء الخلل عن خلق السماوات، فانتقل إلى إتقان الصنع فهو مما شمله عموم الإتقان في خلق السماوات السبع وذكره من ذكر بعض أفراد العام كذكر المثال بعد القاعدة الكلية، فدقائق السماء الدنيا أوضح دلالة على إتقان الصنع لكونها نصب أعين المخاطبين، ولأن من بعضها يحصل تخلص إلى التحذير من حيل الشياطين وسوء عواقب أتباعهم. وتأكيد الخبر بـ(قد)، وسميت النجوم هنا مصابيح على التشبيه في حسن المنظر فهو تشبيه بليغ، وذكر التزيين إدماج للامتنان في أثناء الاستدلال، ثم التخلص إلى ذكر رجم الشياطين ليتخلص منه إلى وعيدهم ووعيد متبعيهم، وعدل عن تعريف (مصابيح) باللام إلى تنكيره لما يفيده التنكير من التعظيم، والذي جعل رجوما للشياطين هو بعض النجوم التي تبدو مضيئة ثم تلوح منقضة، وضمير الغائبة في جعلناها المتبادر أنه عائد إلى المصابيح، أي أن المصابيح رجوم للشياطين، ومعنى جعل المصابيح رجوما جار على طريقة إسناد عمل بعض الشيء إلى جميعه مثل إسناد الأعمال إلى القبائل؛ لأن العاملين من أفراد القبيلة[2].

يتضح مما تقدّم أن الضمائر من أبرز أدوات الإحالة؛ لأنَّها نائبة عن الكلمات والعبارات والجمل المتتالية، فهي تربط بين أجزاء النصّ، ثم للمتلقي له دور في فهمِ وقبولِ ما يقصد من الإحالة فتُؤتي ثمارها؛ لأنها فعل تداولي تعاوني.

الإحالة الإشارية:

أسماء الإشارة ألفاظ تدل على وجود شيء حاضر محسوس وهذا ما ذهب إليه (الرضي، ت687هـ) بقوله:((اسم الإشارة لما كان موضوعا للمشار إليه إشارة حسية فاستعماله فيما لا تدركه الإشارة كالشخص البعيد، والمعاني: مجاز،...يحتاج إلى مذكور قبل، أو محسوس قبل، حتى يشار إليه به، فيكون كضمير راجع إلى ما قبله))[3].

فأسم الإشارة لا يحتاج إلى ما يفسره؛ لأن المشار إليه حاضر عند الإشارة، أما إذا أشير إلى شيء غير حاضر فيكون حكمهما حكم ضمير الغائب في احتياجه إلى مرجع يفسره، ولذلك سمَّاها (سيبويه) الأسماء المبهمة فقال: ((الأسماء المبهمة: هذا، وهذان، وهذه، وهاتان، وهؤلاء وذلك...))[4] فإن؛ المتلقي بحاجة إلى اسم فسر الإبهام في جوانب من النصّ، وهذا ما نجده بقول (السهيلي، ت518هـ): ((هذه الأسماء إنما وضعت في الأصل لما استبهم على المتكلم اسمه وزاد هو إبهامه على بعض المخاطبين دون بعض فاكتفى بالإشارة إليه أو كانت الإشارة إليه أبين من اسمه عند المخاطب))[5]، إذًا وفق هذا المعنى تلتقي أسماء الإشارة مع الضمائر

(1) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين:2/ 579، نتائج الفكر في النَّحو: 263،
(2) ينظر: التحرير والتنوير: 21/29
(3) شرح الرضي على الكافية: 479/2.
(4) الكتاب:2/ 77.
(5) نتائج الفكر في النحو: 177.

بدلالة الإبهام، ثم هذا الإبهام جعل (ابن هشام، ت761) يعدها من روابط الجملة[1]، ثم إن ((ألفاظ الإشارة لوحدها غير كافية لأداء المدلول، وإنما يلزمها ما يوضحها فهي مبنية لشبهها بالضمير في افتقارها إلى مرجع يزيل إبهاما))[2]، وتصنف أسماء الإشارة وفق أساس المسافة إلى المشار إليه أي القرب والبعد فذكروا مستويين في استعمال هذه الأسماء: المستوى الأول: قريب وتمثله (هذا) وفروعه، والمستوى الثاني: بعيد وتمثله(ذلك) وفروعه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**﴾

المشار له يجوز المراد به الحشر المستفاد، او وعدا للمسلمين بالنصر فالإشارة إلى وعيد سمعوه وهي إحالة بعدية، والاستفهام بقولهم: متى هذا الوعد مستعمل في التهكم لأن من عادتهم أن يستهزئوا بذلك وأتوا بلفظ الوعد استنجازا له لأن شأن الوعد الوفاء، وضمير الخطاب في: إن كنتم صادقين للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأنهم يلهجون بإنذارهم بيوم الحشر، وتقدم نظيره في سورة سبإ، وأمر الله رسوله بأن يجيب سؤالهم بجملة على خلاف مرادهم بل على ظاهر الاستفهام عن وقت الوعد على طريقة الأسلوب الحكيم، بأن وقت هذا الوعد لا يعلمه إلا الله.

نجد أنَّ اسم الإشارة (هذا) قد أسهم في تحقيق تماسك النص وساعد على تحقق الاقتصاد اللغوي المغني عن تكرار كلام سابق أو لاحق مفسر لهذا الاسم المبهم؛ الأمر الذي يجعل المتلقي يعود بذهنه إلى ذلك الكلام المفسر، لتستمر عملية التواصل من دون حدوث أي خلل يتسبب في انقطاعها.

الإحالة الموصولة:

النحويين العرب كانت لهم جهودًا في بيان أحكام الاسم الموصول، فافرد لها (سيبويه، ت180هـ)((باب ما يكون الاسم فيه بمنزلة الذي في المعرفة" و"باب الأسماء التي يجازي بها وتكون بمنزلة الذي))[3]، ثم نجد مصطلح موصول عند (المبرد، ت285هـ) في باب "الصلة والموصول في مسائله"[4]، وذكرها (ابن السراج، ت316هـ) في باب((ما عطف شيء موصول لا يتم ألا بصلة))[5]، أما (الزجاج، ت340هـ) قد اصطلح للأسماء الموصولة تسمية تلك هي ((الأسماء الناقصة)، لأنها مفتقرة إلى صلة وعائد[6]، وهذا ما صرح به (ابن عصفور، ت669هـ) إذ يقول:((ولابد في الجملة من ضمير يعود على الموصول))[7].

إذًا((الموصول))((لا يتم جزء إلا بصلةٍ وعائد"[8]، فهو اسمٌ ناقصٌ "أَي ناقص الدلالة، فإذا جئتَ بالصلة قِيلَ موصولٌ حينئذٍ" [9]، ولا يمكن عدّه من الكلام المفهوم إلا بحضور صلته بعده [10] بهذا يعد الموصول من المبهمات التي يزال الإبهام عنها بالتركيب الذي يلحقها؛ لأن تعريف الموصول بوصفه معرفة مشارًا به إلى المعهود بين المُتكلم والمخاطب؛ إنَّما يكون بمضمون صلته ويوضح الدلالة؛ لأنه لفظ يربط الجملة الواقعة بعده بالاسم الذي قبلها[11].

فالأسماء الموصولة هي الوسيلة الثالثة للإحالة، التي أضافها (بوجراند)[12] والتي لها أثر في تماسك النصّ[13]، ويقول (تمام حسان): قد تكون الإحالة بالموصول وذلك عند إرادة وصف المرجع بصفة تدل على مدح له أو ذم[1]، أي أَن صلة الموصول هي وصف لما قبلها، ولا يكن الوصف بها مباشرة جاء الموصول ليساندها على أداء الوظيفة[2].

(1) ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب: 742.
(2) أصول تحليل الخطاب: 2/ 1069.
(3) الكتاب: 2/ 105.
(4) المقتضب: 191/3.
(5) الأصول في النحو: 68/2.
(6) الجمل في النحو:361.
(7) شرح جمل الزجاجي: 126/1.
(8) شرح الرضي: 3/ 5.
(9) شرح المفصّل 3/ 150.
(10) ينظر: معاني النحو:1/ 112.
(11) ينظر: شرح المفصّل 3 /138-139
(12) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: 32.
(13) ينظر: نسيج النصّ: 118.

قال تعالى:﴿ **تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير**﴾، ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**﴾﴿ **الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾ في هذه الآيات إحالة سياقية مرجعها خارج النص وهو(الله) دل عليها السياق، فهي صفة ثانية للذي بيده الملك، أعقب التذكير بتصرف الله بخلق الإنسان وأهم أعراضه بذكر خلق أعظم الموجودات غير الإنسان وهي السماوات، ومفيدة وصفا من عظيم صفات الأفعال الإلهية، ولذلك أعيد فيها اسم الموصول لتكون الجمل الثلاث جارية على طريقة واحدة، والسماوات تكرر ذكرها في القرآن، والمقصود منه التعريض بأهل الشرك، إذ أضاعوا النظر والاستدلال بما يدل على وحدانية الله تعالى بما تشاهده أبصارهم من نظام الكواكب، وذلك ممكن لكل من يبصر، والتعبير بوصف الرحمن دون اسم الجلالة إيماء إلى أن هذا النظام مما اقتضته رحمته بالناس لتجري أمورهم على حالة تلائم نظام عيشهم، لأنه لو كان فيما خلق الله تفاوت لكان ذلك التفاوت سببا لاختلال النظام فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق[3]، ونلاحظ أغلب الربط الذي يؤديه الموصول هو ربط النصّ بمقامه، وقليل ما يربط بألفاظ النصّ.

قال تعالى: ﴿ **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير**﴾، هذا تتمه للآية السابقة لئلا يتوهم أن العذاب أعد للشياطين خاصة، والمعنى: ولجميع الذين كفروا بالله عذاب جهنم فالمراد عامة المشركين ولأجل ما في الجملة من زيادة الفائدة غايرت الجملة التي قبلها فلذلك عطفت عليها، وجملة وبئس المصير حال أو معترضة لإنشاء الذم وحذف المخصوص بالذم لدلالة ما قبل بئس عليه.

وبذلك تكون هذه العناصر الإحالية قد تعاضدت على ربط أجزاء هذا النص بعضها ببعض، وساعدت المتلقي على الرجوع بذاكرته إلى كلام مذكور في آيات سابقة، والتواصل مع النص وتلقي المعلومات بكل سلاسة وعذوبة؛ مما كشف عن التماسك المنشود.

الإحالة الإسنادية

يقوم هذا النوع من الإحالة–الاسنادية– بوظيفتين: أحدهما إسنادية والأخرى إحالية، فتأتي الإحالة ضمن أطار عملية إسنادية متكاملة ومنه **قوله تعالى:**﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾، ﴿**قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين** ﴾

فالوظيفة الإسنادية التي أداها العنصر الإحالي(هذا) تتمثل في تأكيد المرسل بعض الصفات التي يتسم بها السائل بدليل الاستفهام بقولهم: متى هذا الوعد مستعمل في التهكم؛ لأن من عادتهم أن يستهزئوا، وضمير الخطاب في: إن كنتم صادقين للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأنهم يلهجون بإنذارهم بيوم الحشر، [4]، وأما الوظيفية فتكمن في إحالة الضمير (انا) إلى الرسول (ﷺ)، ثم نلاحظ كيف أسهمت الإحالة بربط التركيب بالوظيفة التواصلية التي يؤديها التماسك النصّي، وتوجد هذه الإحالة في الأفعال المستندة إلى الضمائر المجتمعة للذات الإلهية أو لتعظيم النبي وهذا النوع حفلت به السورة المباركة واغلب من يمثل هذه الإحالة هو الضمير (نا).

الإحالة التكرارية.

ربط (ابن جني) معنى التكرار بالتوكيد[5]، وقد جعل (السلجماسي، ت704هـ) للتكرار اللفظيّ وظيفة يمكن في ضوئها أن يلحظ الأثر الذي يحقّقه في الترابط، إذ يقول: ((هو إعادة اللفظ بالعدد، وعلى الإطلاق المتّحد المعنى كذلك مرتين فصاعدًا، خشية تناسي الأوّل، لطول العهد به في القول))[6]، ومن المحدثين عرف (الأزهر الزنّاد) الإحالة التكرارية بأنها وسيلة من وسائل الإحالة، قائلًا: ((وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة، يتمثّل في تكرار لفظ، أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جُمل النصّ، قصد التأكيد، وهو إحالة تكراريّة))[7].

---

(1) ينظر: اجتهادات لغوية: 57.
(2) ينظر: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: 40.
([3]) ينظر: التحرير والتنوير: 28-29/ 16
([4]) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير:216/3.
(5) ينظر: الخصائص: 3/ 105.
(6) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: 477 - 478.
(5) نسيج النصّ: 119.

قال تعالى:﴿ **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾، في هذه الآية ضرب الله (ﷻ) مثلًا، فتكرار لفظ (يمشي)، فالأول تحيل إلى الكافرين والثاني يحيل إلى المؤمنين، فالكلام هنا وارد في مقام المحاجة والاستدلال وهنالك في مقام المتاركة أو الاستنزال، فالتمثيل جرى على تشبيه حال الكافر والمؤمن بحالة مشي إنسان مختلفة وعلى تشبيه الدين بالطريق المسلوكة كما يقتضيه قوله: على صراط مستقيم فلا بد من اعتبار مشي المكب على وجهه مشيا على صراط معوج، وتعين أن يكون في قوله: مكبا على وجهه استعارة أخرى بتشبيه حال السالك[1].

الإحالة بالنفي:

بعض الألفاظ لها دلالة متضمنة معنى النفي التي تحيل إلى نص متكامل، نحو مفردات تنزيه الله وتسبيحه وحمده وشكر آلائه ومنه قوله تعالى: ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير**﴾ (تبارك) إحالة الى الذات الإلهية بنفي الشرك عن الله (ﷻ)، فهو الذي بيده ملك كل شيء المتصرف في هذا الكون تصرّفا مطلقا، وهو القادر على كل شيء قدرة شاملة تامّة، وهو الذي بيده الموت والحياة والقادر عليهما. وقد جعل ذلك وسيلة لاختبار الجنس البشري حتى يظهر الأحسن منهم عملا، على غير حاجة وضعف لأنه قوي عزيز لا يدانيه في قوّته أحد وليس هو في حاجة إلى أحد، والمتّصف مع ذلك بالغفران والصفح والتسامح، وهو الذي خلق السموات السبع بإتقان وانتظام وتطابق لا يمكن أن يرى الناظر إليها أي تفاوت أو تناقض أو صدوع أو شقوق أو خلل مهما دقّق في النظر وعاود التدقيق مرة بعد مرة وأجال النظر في جميع الأنحاء. ولن يلبث أن يرتدّ نظره ذليلا مذهولا حائرا كليلا مما يرى من العظمة ورائع الصنع والإتقان مستشعرا بعجزه عن درك الأسرار الربانية والإحاطة بها مستبينا ضالة شأنه إزاءها.

الإحالة التبعية:

يتضح هذا النوع من الإحالة في ضوء علم الدلالة المعجمية والعلاقات بين الوحدات المعجمية كعلاقات الكل بالجزء، فالكل يتشكل من مجموعة من الأجزاء التي تحيل إليه[2].

قال تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾، نجد تبعية الالفاظ بالإحالة، {إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ} في جو السماء {صَافَّاتٍ} باسطات أجنحتهن {وَيَقْبِضْنَ} يضممنها، إذا ضربن بها جنوبهن {مَا يُمْسِكُهُنَّ} حال طيرانهن في الهواء، فهذه الالفاظ تحيل إلى الطير فالاجنحة وعملية الطيران جزء من الطير.

الإحالة التضادية:

يقصد بالإحالة التضادية تكرار المحتوى بتعبيرات مختلفة، والتضاد جمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من النص مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار، ويقع بين الأسماء: ك(ولد– بنت)، والأفعال:(يحزن – يفرح)، والصفات(محفوظ – منحوس)[3].

قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾، فبين الموت والحياة إحالة تضادية.

الإحالة الارتكازية:

ذلك الضرب الذي يتمتع بخصيصة الامتداد الأفقي في النصّوص بحيث يذكر العنصر الإحالي في نقطة ما داخل النصّ ليحيل إلى المحال إليه والذي غالبا ما يكون بعد مجموعة من التراكيب.

قال تعالى:﴿ **قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**﴾،إن العنصر الإحالي المتمثل بالضمير (هو) تُحيل إليه الالفاظ (أنشأكم، جعل لكم السمع والبصر والأفئدة) فالضمير (هو) ينوب عن الله (ﷻ) وهذا يمثل نقطة ارتكاز ومن ثم يغطي بالربط المتكامل جميع تراكيب الآية، فهو ركيزة بني عليها النصّ موثقًا باستمرارية التواصل الكلامي التي تدل على تجدد قدرة الله (ﷻ).

([1]) ينظر: التحرير والتنوير: 44/29.

(2) ينظر إلى علم النص مشكلات البناء: 131.

(3) ينظر: الصناعتين: 238- 239، الإيضاح في علوم البلاغة: 214- 217.

الخاتمة

1. الإحالة وسيلة من وسائل كشف بلاغة النص القرآني من حيث الاختيار الدقيق للمفردة والموقع الملائم، وتناسقها مع مقتضيات السياق الخارجي في أنساق بنائية تتجه بالخطاب إلى البشر ؛ لاستكشاف ما في الوجود، وكشف أسراره، وتلمّس سبل الفلاح.
2. التناسق العجيب بين الدالّ ومدلولاته المتنوعة، وانسجام التصوّرات الدّلالية المحتملة للتركيب الواحد مع السياق العامّ للنصّ القرآنيّ، لتحقيق الربط بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المنقول إليه لعلاقة جامعة بينهما..
3. مما تقدم تبدو الضمائر أكثر الأدوات الإحالية تحقيقا للتماسك وتشمل كل أنواع الإحالة، بينما تقوم الإحالة الإشارية بتحديد المكان الذي يوجد فيه المرجع ومدى قربه أو بعده، فلا غنى لمنتج النص عن توظيفها في خدمة المعنى المراد إبرازه في النص، وفي إنارة أفكاره النصية التي يروم عرضها وإيصالها لمتلقي النص؛ للحفاظ على استمرارية عملية التواصل وإتمامها بنجاح، فيما تقوم الأسماء الموصولة بوظيفتها الإحالية من خلال عملية التعويض، إذ تشترك مع أدوات أخرى في إنجاز ذلك.

المصادر والمراجع:

1- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، ط1، بغداد، 1965م.

2- اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007.

3- ارتشاف الضرب من لِسَان الْعَرَب، أبي حيّان الأندلسيّ، تَحْقِيق ودراسة: رَجَب عُثْمَان مُحَمَّد، ط1، مكتبة الخانجي، الْقَاهِرَة. 1418هـ.

4- أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية، تونس، ط1، 2001م.

5- الأصول في النحو، السراج (ت: 316هـ)، تحقيق، د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988م.

6- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري (ت: 577هـ)، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، راجعه رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م.

7- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط5، 2003م.

8- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني(ت793هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، 1993.

9- البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النّصيّة، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1998.

10- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط2، 200م.

11- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقيقين، دار الهداية، 2010.

12- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية، تونس، ط2، 1984هـ.

13- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، محمود احمد نخلة، دار التوني، الإسكندرية، 1997.

14- الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط5، 1995م.

15- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.

16- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، الشيخ رضي الاستراباذي (686هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ليبيا. 1975.

17- شرح المفصل، ابن يعيش (ت: 643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

18- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور، ط1، (ت 669)، قدم له ووضع هوامشه، وفهارسه: فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
19- الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت: 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.
20- علم الدلالة، جون لا ينز، ترجمة، مجيد ماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، العراق، 1980م.
21- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، (ت:170هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الحرية، بغداد 1980-1986م.
22- الكتاب: أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (ت 180)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
23- لسان العرب، ابن منظور، (ت: 71هـ)، تح: اليازجي وجماعة من اللغويين دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
24- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
25- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2009م.
26- مدخل إلى علم النص" مشكلات بناء النص"، زتسيلاف اورزنباك، ترجمه وعلق عليه، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003م.
27- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
28- معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط1، 1420هـ.
29- مغنى اللبيب ابن هشام، (المتوفى: 761هـ)، تحقق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.
30- المقتضب، المبرد (ت: 285هـ)، محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، 1980م .
31- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد قاسم السلجماسي(ت704هـ)، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980م.
32- نتائج الفكر في النحو، أبي قاسم السهيلي(ت581هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.
33- نسيج النص بحث ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي- بيروت ط1، 1993م.
34- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط،1، 1998م.